

مَكْتَبَةُ ابْنِ قَيْنِبَرٍ
أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ قَيْنَبَةَ
٢١٣-٢٧٦ هـ

نَوَافِيسُ شِكَاةِ الْقُرْآنِ

شرحه وشرحه

السيد أحمد صيفتري

الطبعة الثانية

١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

دار البتراء

مس. ب. ١١٨٥ - القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُتَمَدَّة

أكبرت ابن قتيبة منذ أن قرأت له في فجر الشباب ، وصبت نفسي إلى كتبه ، فطلبتها ، وحرمت على دراستها بعزيمة قوية ، وهمة فتيية ، ونفس مشوقة ، وحس جميع . وكنت كلما أمعنت في قراءتها ، وأدمنت النظر فيها تجلت لي عظمتها ، وظهرت قيمتها ، وتبينت دقائقها ، وتهديت إلى مراميها ؛ واستبان لي من نضرة طلاوتها ، ورفافة بائيتها ؛ ورضانة أسلوبها ، وجمال عرضها ، وحسن تنسيقها وتبويبها - ما يزيدني إعجاباً بها ، وإعظماً لمؤلفها .

ثم تعاقبت الأعوام ، وتنوعت القراءات ، وتغيرت القيم ، وتبدلت الأنظار ؛ وظل إعجابي بابن قتيبة وكتبه مكيناً ركيناً ، بل ازداد تأصلاً وتمكناً ؛ بما ازددت من معرفة به ، وبصر بكتبه .

وابن قتيبة خليق بالإعجاب ، جدير بالإعظام ؛ فقد أخلص نفسه وفكره وعقله لدينه ولغته ، وقضى حياته مجاهداً في سبيل إعزازها ، والتمكين لها في نفوس شباب الإسلام ، ودرء شبه أعداء الدين والعربية والعرب ، بما ألف من كتب ، ودرس من دروس . لا يتفنى بذلك طلب المثالة بين الناس ، أو المثالة منهم ، أو الجاه عندهم . بل ابتغى بما عمل وجه الله ، وتحقيق المثل العظيم

الذى رسمه لنفسه منذ أن عقل أمرها ؛ وهو الجهاد الدائب فى سبيل الدين واللغة ، حتى قضى نحبه رضى النفس ، مذكوراً بلسان الصدق فى الآخرين .
وقد أثناه الله على إخلاصه ، بما أفاض على كتبه من القبول ، وعطف نحوها من القلوب والعقول . فليست ترى أديباً أو متأديباً قرأ من كتبه ، إلا وهو يحس نحوها بالمودة ، ونحوه بالتقدير .

وقد دفعنى إعجابى بابن قتيبة ، وعرفانى بقدر كتبه : أن أنشر ما بقى منها ، نشرأ قويماً ، يسهل سبل الانتفاع بها ، ويظهر التراء على ما فيها من روائع العلوم ، وبدائع الآداب والفنون .

والحق أن كتب ابن قتيبة دائرة معارف شاملة ، تمثل أرقى ما وصل إليه الفكر الإسلامى ، فى القرن الثالث الهجرى . ومن ثم فهى خليفة بالدرس ، جديرة بالنشر .

* * *

وابن قتيبة : من أسرة فارسية ، كانت تقطن مدينة « مرو » ولسنا نعرف عن نسبه أكثر من أنه : « عبد الله بن مسلم بن قتيبة بن مسلم المروزى » .

وقد ولد فى سنة ٢١٣ ، فى أواخر خلافة المأمون .

وقد اختلف المؤرخون له فى تعيين المدينة التى ولد بها ، فقال السمعانى ، والقفطى : إنه ولد ببغداد . وقال ابن النديم ، وابن الأنبارى ، وابن الأثير : إنه ولد بالكوفة .

وقد اتفقوا على أنه نشأ ببغداد التي كانت تموج حينئذ بأعلام العلماء
في كل فن، وتهوى إليها أفئدة المتقنين والتعلمين من كل أنحاء الدولة
الإسلامية .

وقد كان ابن قتيبة - منذ شبابه الباكر - ذا نفس طُلعة ، تواقفة إلى
المعرفة ، دفعته إلى أن يتعلق من كل علم بسبب ، وأن يضرب فيه بسهم . وقد
اقتضاه ذلك أن يغشى مجالس علماء الحديث والتفسير والفقه والنحو واللغة
والكلام والأدب والتاريخ ؛ فغشى من مجالسهم ما غشى ، وثقف عنهم ما ثقف ؛
مما مكن له من أسباب القوة ، وهياً من وسائل التفوق والتبريز .

* * *

وقد تتلمذ ابن قتيبة لطائفة من أعلام عصره ، وروى عن جمع من مشاهير
دهره ، وأخذ عن كثير من أعيانه وأماثله . نذكر منهم ما يلي :

١ - والده « مسلم بن قتيبة » . وقد أشار إلى ذلك في عيون الأحيار
٣/٣٠٧ ، ١/١٤٢ حيث يقول : « حدثني أبي ، عن أبي العتاهية » و « حدثني
أبي ، أحسبه عن الهيثم بن عدي » .

٢ - أحمد بن سعيد اللحياني ، صاحب أبي عبيد : القاسم بن سلام ،
وقد حدثه اللحياني بكتاب الأموال ، وكتاب غريب الحديث لأبي عبيد ،
في سنة ٢٣١ . وكان عمر ابن قتيبة - إذ ذاك - ثمانية عشر عاماً .

٣ - أبو عبد الله : محمد بن سلام الجمحي البصري ، صاحب طبقات
الشعراء (١٣٩ - ١٣١) .

٤ - أبو يعقوب: إسحاق بن إبراهيم، المعروف بابن راهويه (١٦١ - ٢٣٨). وهو إمام جليل في الفقه والحديث. صاحب الشافعي وناظره، وروى عنه البخاري ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وأحمد بن حنبل الذي قال عنه: « لا أعرف لإسحاق بالعراق نظيراً ».

٥ - حرملة بن يحيى التجيبي، صاحب الشافعي (١٦٦ - ٢٤٣).

٦ - القاضي يحيى بن أكثم، المتوفى سنة ٢٤٢. وقد أخذ ابن قتيبة عنه بمكة.

٧ - أبو عبد الله: الحسين بن الحسين بن حرب السلمى المروزى، المتوفى سنة ٢٤٦.

٨ - دعبل بن علي الخزاعي الشاعر (١٤٨ - ٢٤٦).

٩ - أبو عبد الله: محمد بن محمد بن مرزوق بن بكير بن البهلول الباهلي البصري المتوفى سنة ٢٤٨.

١٠ - أبو إسحاق إبراهيم بن سفيان الزيادي، تلميذ سيبويه، والأصمعي، وأبي عبيدة؛ المتوفى سنة ٢٤٩.

١١ - أبو حاتم: سهل بن محمد السجستاني، المتوفى سنة ٢٤٨ أو ٢٥٠، أو ٥٥.

قال الأزهرى في مقدمة التهذيب ص ١١: « وكان أبو حاتم السجستاني أحد المتقدمين، جالس الأصمعي، وأبا زيد، وأبا عبيدة. وله

مؤلفات حسان ، وكتاب في قراءة القرآن جامع ... وقد جالسه شمر ،
وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ؛ ووثقاه .

١٢ - محمد بن زياد بن عبيد الله بن زياد بن الربيع الزيادي البصرى ،
الملقب بمؤيو ، المتوفى سنة ٢٥٢ .

١٣ - أبو يعقوب : إسحاق بن إبراهيم بن محمد الصواف الباهلى
البصرى ، المتوفى سنة ٢٥٣ .

١٤ - أبو عبد الله : محمد بن يحيى بن أبي حزم القطعمى البصرى ، المتوفى
سنة ٢٥٣ .

١٥ - أبو الخطاب : زياد بن يحيى بن زياد الحسافى البصرى ، المتوفى
سنة ٢٥٤ .

١٦ - شبابة بن سوار ، المتوفى سنة ٢٥٤ .

١٧ - أبو عثمان الجاحظ ، المتوفى سنة ٢٥٤ . وقد أجاز ابن قتيبة
ببعض كتبه ، كما صرح به ابن قتيبة فى عيون الأخبار ، حيث يقول ١٩٩/٣
و ٢١٦ و ٢٤٩ : « وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر : من كتبه ؛ قال ... » .

١٨ - أبو يعقوب : إسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد البصرى ،
المتوفى سنة ٢٥٧ .

١٩ - أبو طالب زيد بن أخزم الطائى البصرى ، الذى قتله الزنج
فى سنة ٢٥٧ .

٢٠ - أبو الفضل: العباس بن الفرج الرياشي ، تلميذ الأصمعي ؛ الذي قتله
الزنج بالبصرة وهو قائم يصلي في مسجده ، سنة ٢٥٧ .

٢١ - أبو سهل الصقار: عبدة بن عبد الله الخزاعي الكوفي، نزيل البصرة ،
المتوفى سنة ٢٥٨ .

٢٢ - عبد الرحمن بن بشر بن الحكم بن حبيب بن مهران العبدي ،
المتوفى سنة ٢٦٠ .

٢٣ - أبو بكر: محمد بن خالد بن خدّاش بن عجلان المهلب البصري الضريير .

٢٤ أبو سعيد: أحمد بن خالد الضريير قال أبو منصور الأزهرى عنه
في مقدمة التهذيب ص ١١ : « وكان طاهر بن عبد الله استقدمه من بغداد ،
فأقام بنيسابور ، وأملى بها كتباً في معاني الشعر والنوادر . وردّ على أبي عمير
حروفاً كثيرة من كتاب غريب الحديث . وكان لقي ابن الأعرابي ،
وأبا عمرو الشيباني ، وحفظ عن الأعراب نكتاً كثيرة . وقدم عليه التميمي :
فأخذ عنه » .

٢٥ - عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب ابن أخى الأصمعي ، الذي
عده الزبيدي في الطبقة الخامسة من اللغويين البصريين .

* * *

أخذ ابن قتيبة عن هؤلاء الأعلام ، كما أخذ عن غيرهم ممن أعرب عن
أسمائهم ، ومن أبهمها واكتفى بأن يقول : « حدثنا بعض مشايخنا » أو نحو

ذلك . كما أخذ عن الكتب المسموعة وغير المسموعة من كتب العرب والعجم .
وهذه يتابع ثقافته الغزيرة ، ومناهل معارفه الجمة .

وليس يكفي أن يكون الإنسان جم المعرفة ، غزير الثقافة ، ايسكون مؤلفاً ممتازاً بل لا بد له - مع ذلك - من طبيعة مواتية ، وفكر مرتب ، وعقل مركز ، وذوق مصفى ، وذهن ناقد ، وبيان ساحر ، وحافز نفسى غلاب . وكل ذلك قد توافر لابن قتيبة ، وتهياً له ؛ فكأنه من أن يؤلف كتباً عظيمة : امتازت بالأصالة والجدة ، والطرافة والدقة ، وحسن الترتيب والتنظيم . وكانت لوناً جديداً خلا من شوائب الاستطراد والتخليط ومساوى التأليف والتصنيف .

* * *

صنف ابن قتيبة مصنفات كثيرة ، بلغت عدتها - فيما يقول أبو العلاء
المعري - : خمسة وستين مصنفاً ، نذكر من أنبأها ، ما علمناه ، فيما يلي :

(١) كتاب الوزراء :

لم يذكره أحد ممن ترجم له ، وقد ذكره ابن منظور في لسان العرب ١٤٣/١٣ ، إذ يقول : « والعرب تسمى من يعمل جفون السيف خللاً . وفي كتاب الوزراء لابن قتيبة في ترجمة أبي سلمة : حفص بن سليمان الخلال في الاختلاف في نسبه ، فروى عن ابن الأعرابي أنه منسوب إلى خلل السيف من ذلك » .

(٢) كتاب آلة الكتاب :

لم يذكر كذلك في ترجمته ، وقد ذكره ابن السِّيد البطليوسى في الاقتضاب حيث يقول ص ٨٧ : « ويقال للشحمة التي تحت برية الفلم : الضرة ، شبهت بضرّة الإبهام ، وهي اللحم في أصلها . كذا قال ابن قتيبة في « آلة الكتاب » وهو المعروف ، وخالف ذلك في « أدب الكتاب » فقال : الألية : اللحم التي في أصل الإبهام ، والضرّة : اللحم التي تقابها » وفي ص ٨٨ : « وقال أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة في كتاب : آلة الكتاب ... » وفي ص ٥٩ : « وقد ذكر ابن قتيبة هذا الكلام في آلة الكتاب وغير ذلك من كتبه » وكذلك ذكره في ص ٨٤ .

(٣) كتاب صناعة الكتابة :

وهو غير معروف كسابقه ، ولكن نقل منه الخزاعى في كتابه « تخرّيج الدلالات السمعية » ص ٣٥٨ عند كلامه على كلمة ديوان وأن جمعا دواوين ودياوين : « وقال ابن قتيبة في صناعة الكتابة : وإنما جمعوه بالياء على لفظه . قال : وداله بالكسر ولا تفتح » .

ومما يوثق صحة هذا النقل من صناعة الكتابة ، وأنه كتاب غير أدب الكتاب - أن الخزاعى ذكر في الباب الرابع من كتابه ، وهو الذى عقده لذكر أسماء التوالمف التي خرّج منها كتابه - في كتب اللغة « أدب الكاتب لأبى محمد : عبدالله بن مسلم بن قتيبة » ، وفي كتب الأدب : « عيون الأخبار لابن قتيبة والعارف له . . . وصناعة الكتابة لأبى جعفر أحمد ابن محمد بن النحاس ، وصناعة الكتابة لابن قتيبة » .